الاستشراف في شعر العصر العباسي

م. د. باسم محمد حمد جامعة/ سامراء/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

المستخلص

تناول البحث الاستشراف في شعر بعض شعراء العصر العباسي، وذُكر فيه المسار التاريخي في استشراف المستقبل والاستشراف عند النقاد، فضلا عن تناول استشراف المستقبل في شعر العصر العباسي الأول، وفيه التنجيم ورأي الشعراء في المنجمين وقراءة الأحداث المستقبلية وبعض الأمور الغيبية.

الكلمات المفتاحية: الاستشراف، شعر العصر العباسي، التنجيم، قراءة الأحداث.

Dr.Bassem Muhammad
University of Samrra
Bassem.m.hamad.@ uosamarra.edu.iq

Abstract :

The research dealt with foresight in the poetry of some poets of the Abbasid era, and mentioned the historical path in foresight and foresight among critics, in addition to dealing with foresight in the poetry of the first Abbasid era, and it

included astrology and the poets' opinion of astrologers and reading future events and some unseen matters.

Keywords: Foresight, Abbasid poetry, astrology, physiognomy.

المقدمة:

تعد ظاهرة الاستشراف من أبرز الظواهر الملفتة في الشعر العباسي نتيجة الأحداث الكبرى التي أصابت المجتمع العباسي. ومثلت هذه الظاهرة هروباً من الواقع الأليم الذي عاشته المجتمعات العربية من كثرة الحروب والفتنة والثورات الداخلية من جهة، والخطر الداهم الذي ينتظر الفرص للانقضاض عليه عند كل منعطف. إنّه صراع الأديان، فلجأ الإنسان العربي إلى البحث عن أشياء جديدة تعمل على تخفيف آثاره الضاغطة، وتمنح الإنسان السعادة والطمأنينة، وتعيد له ثقته بنفسه وقدراته، وتقوي إرادته، تعزيز قوته. وفي حالات أخرى يكون عامل الإلحاح وعدم الانتظار حافزاً للدخول إلى عالم الغيب، ويقع عدد من الناس تحت تأثير رغبة ملحّة تدفعهم أحياناً إلى معرفة ما سيحدث لهم من تغيّرات في المستقبل في مختلف مجالات الحياة. إنّ توقع ما سيحدث في المستقبل هو نشاط إنساني يتضمن التوجه نحو المستقبل، والبحث عن الأحداث التي خبّأها القدر، والتي يطمح كثير من الناس إلى إسعادها، ويدعو إلى التفاؤل والأمل، من أجل إعادة التوازن إلى الحياة والمستقبل. تحقيق الاستقرار النفسي. في كثير من المواقف، يلجأ بعضهم إلى التنبؤ والتشبث بنتائجه. لأنّه يجد فيه مساحة قادرة على استيعاب طموحاته وأفكاره ورؤاه، عندما لا يجد في الواقع المعيش ما يرضي رغباته، فيضطر إلى البحث عن مساحة مناسبة تحقق آماله وتطلعاته، فيجد ما يتمناه في المستقبل، فيبحث عمن يرشده إلى ذلك، ويفتح له آفاقاً ربما كانت ضيقة. ويواجه انشغالات الحياة وقلة

الفـرص المتاحـة والمنافسـة والصـراع مـع الآخـرين. ويعمـل علـى متابعـة العـاملين فـي مجـال التنبـؤ علـى أمـل أن يسـهموا فـي تحقيـق مـا يطمـح إليـه. يعيش على وقع تنبؤاتهم في أجواء حالمة مليئة بالأمل والتفاؤل إذا سمع ما يسرّه، وينوي الانسحاب إذا كانت عملية التنبؤ مخالفة لما يرغب فيه ويطمح إليه. قد يكـون غـرض التنبـؤ حـب المعرفـة، وفـك رمـوز المجهـول، بحثاً عـن الإثـارة والتشـويق، وكسـر الرتابـة والركـود، وطـرد الملـل، فـي ظـل الأحـداث التـي يمـر بهـا الإنسـان والتـي قـد تكـون متكـرّرة، ممـا يجعلـه يشـعر محبطـاً ومكروباً، فيعمل على ترك حالة الانقباض والتخدير، وإزالة بقاياها العالقة. بينما تعد عملية الاستشراف والتنبؤ بما سيحدث فيه مجالا لعرض المهارات والقـدرات فـي قـراءة الأحـداث واسـتنباط الحلـول وربـط مـا يحـدث لـبعض الأشخاص بناء على معطيات الواقع.

هيكلية البحث:

تم تقسيم البحث على مبحثين:

المبحث الأول:

1- (تعريف ومعنى استشراف المستقبل)

2- (المسار التاريخي للاستشراف)

3- (الاستشراف عند النقاد)

المبحث الثاني (استشراف المستقبل في شعر العصر العباسي الاول)

1-التنجيم

2- قراءة الأحداث

3- الأمور الغيبية

أولاً:

الاستشراف لغة:

الاستشراف:

ان تضع يدك على حاجبك وتنظر، وأصله من الشرف العلو، كأنّه ينظر إليه من موضع مرتفع، فيكون أكثر لإدراكه، ويقال أيضاً استشرفت الشيء إذا رفعت رأسك أو بصرك تنظر إليه، وورد فيه أيضا استشرف لهم ناس أي رفعوا رؤوسهم وأبصارهم، قال أبو منصور معناه وأنت غير طامع ولا طامح اليه بل متوقع له (لسان العرب، 2242-2244).

ثانياً: المسار التاريخي وآراء النقاد:

يُعنى هذا البحث بتتبع ظاهرة الاستشراف في بعض أشكاله ووسائله عند عدد من الشعراء في العصر العباسي، وبيان أبعاد ذلك في المجتمع العربي في تلك الفترة، إنّ انتشار هذه الظاهرة في البيئة العربية، والبحث عن تجلياتها في شعر العصر العباسي، من خلال استعراض مواقف عدد من الشعراء، سواء الرافضين لهذه الظاهرة، أم الذين اتجهوا نحو التنبؤ بالأحداث المستقبلية، فهناك عدد من الشعراء العباسيين الذين أعلنوا رفضهم للأعمال المتعلقة بالغيب، لا سيّما موقفهم من رفض التنجيم، بينما مارس شعراء آخرون التنجيم واشتهروا به، وقد وثّق عدد منهم ذلك في قصائدهم، بينما اعتمد شعراء آخرون على علم الفراسة والقراءة المتأنية للأحداث، ومنهم من أصيب بخيبة الأمل نتيجة لمواقف مر بها فضلا عن ذلك، كان بعض الشعراء يعيَّرون بالعذاب بعد الموت فيذكرون رحمة الله عز وجل، عملت مجموعةٍ من الشعراء على بث رسائل خاصة تضمنت بعض

التنبؤ بمصير عدد من القائمين على الشؤون السياسية، وقد ظهر ذلك جلياً في العصر العباسي. بينما شكلت الأشياء الباطنة إحدى نوافذ الاستبصار. وقد تمت دراسة هذا في مبحثين. وقد اعتنى القسم الأول بدراسة (مسار الاستشراف التاريخي عبر العصور). بينما اعتنى المبحث الثاني بالتعرف على أبرز مظاهر (التنقيب في شعر العصر العباسي) والتي جاءت من خلال أساليب وممارسات متنوعة تمثلت في (التنجيم، وأشياء أخرى، وأشياء غيبية).

ثالثاً: نظرة عن الاستشراف عبر العصور:

الاستشراف ظاهرة قديمة متجذّرة في أعماق التاريخ. وكانت ممارسة إنسانية شائعة وشائعة في أماكن وأزمنة مختلفة، كما عرفتها معظم الأمم السابقة. حملت الأساطير الرومانية واليونانية القديمة معتقدًا قديمًا آمنت به جميع الشعوب، يتمثّل في التنبؤ بالغيب بين البشر، ومعرفة ما يخفيه المستقبل من أحداث، وهي قوة خاصة كانت مقتصرة على بعض الناس، ولم تكن متاحة للجميع. في المعتقدات القديمة، كان يعتقد أنّ قوة من يملكها قريبة بشكل كبير من قوة الآلهة. وقد مارسها الآشوريون، إذ إنّ اتساع السهول التي يسكنونها، ومنظر السماء المفتوحة الممتد على مد البصر، مكنهم من مراقبة مسارات الكواكب ورصد تحركاتها، فكانوا يمرون بها. وللأجيال التي تلتهم ما كان لحركات الكواكب من دلائل على أقدار الناس. وهذا ما اتبعه الكلدانيون، فقد استغلوا مشاهداتهم لحركة الكواكب لتأسيس علم يمكنهم من التنبؤ بمصائر الناس ومعرفة المصير الذي قُدر لهم. بينما كان بعض سكان آسيا (الكيليقيين، والبيسيديين، والبامفيليين) يعتقدون دون أدنى شك أن المستقبل يكشفه تغريد الطيور وحركاتها في

الهواء. أما اليونانيون فلم يقوموا بأي هجرة إلا بعد استشارة الكاهنة (بيثيا) أو تلقي الوحي من (دودونا) أو (جوبيتر آمون). لم يدخلوا الحرب دون طلب مشورة الآلهة أولاً. وكان كهنة الفرس أهل عرافة ومخبرين بالغيب، وكانوا يجتمعون في الهيكل للعبادة والتشاور. بينما لا يمكن لأحد أن يتولى السلطة إلا إذا عرف عمل الكهنة نظريا وعمليا. وكان الكلدانيون في سوريا معروفين بحدة العقل، وكانوا على دراية تامة بعلوم الجسد. كان سكان أترووريا (شيشرون، 1946، ص96-97) أيضًا ماهرين في ملاحظة الصواعق وتفسير معانيها ومعرفة المعنى الذي يحمله كل رمز وما يستلزمه كل فأل. ويستغرق استعراض اهتمام الأمم القديمة بالغيب وقتاً طويلاً، وشرح الممارسات والأنشطة التي قامت بها في هذا المجال. (عجيل، 2022) إنَّ عوامل سياسية واجتماعية ودينية مختلفة كانت باعثاً من بواعث التنبؤ بالغيب، مثل البيئة الطبيعية، وما تشتمل عليه من سماء وكواكب وأرض وطيور ورعد وبرق وغير ذلك، فعوامل عدم الاستقرار والخوف من المجهول، كان لها الأثر البالغ في التوجُّه نحو قراءة ما يخبؤوه المستقبل، فضلاً عن ذلك فإنَّ بعض الممارسات المرتبطة بالتنبُّؤ كانت تجري في المعابد فيتم فيها استغلال الأجواء العبادية من أجل تحقيق غايات مُعيَّنة، منها فرض الهيمنة على أبناء المجتمع، وإخضاعهم للسلطة الحاكمة. ولم يكن المجتمع العربي في العصور التي سبقت ظهور الإسلام بمنأى عن ذلك، إذ ازدهر التنبؤ بالغيب في تلك الحقبة، فظهرت فئة تدَّعي التنبؤ، ومعرفة الأشياء الغيبية، وهم الكهَّان، الذين كانوا يمثِّلون سلطة دينية واجتماعية، انطلاقاً من النظرة الاعتقادية السائدة آنذاك، وهي إنَّ لكل كاهن رئياً من الجن، يأتيه بأخبار السماء. لذلك كانوا يوهمون الناس بامتلاكهم قوة خارقة، تمكِّنهم من استكناه خفايا المستقبل، وكشف الغيب، وتأويل

الرؤيا. أمَّا بعد ظهور الدين الإسلامي، فقد وقفت الشريعة الإسلامية موقفاً حازماً من قضايا الغيب، إذ جعلت الأمور الغيبية بيد الله سبحانه وتعالى، وقد ورد ذلك في آيات قرآنية متعددة مُتمثِّلةً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ (آل عمران: 179). وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام: 59). وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 188). وهنا لا نريد أن نخوض في مسألة الغيب ؛ لأنها كانت وما زالت مثار جدل، وموضع خلاف بين علماء المسلمين، فمنهم من رفضها رفضاً قاطعاً، وجعل الغيب بيد الله جلَّ وعلا. ومنهم من يرى أنَّ الله سبحانه وتعالى يطلع من يختاره من عباده على أمور الغيب. لكنَّهم اتَّفقوا على تحريم التنجيم القائم على السحر والشعوذة والكذب، مستندين في ذلك إلى أقوال النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلَّم) وهو يحذِّر من التنجيم في أحاديث متعددة، منها ما جاء في قوله: ((مَا اقْتَبَسَ رَجُلٌ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ إِلَّا اقْتَبَسَ بِهَا شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ مَا زَادَ زَادَ)) (احمد بن حنبل، 1995، ص454) وكذلك قوله صل الله عليه وسلم ((من أتى كاهناً أو عرّافاً وصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)) (احمد بن حنبل، 1995، ص331) إلا أنَّ ذلك لم يقضِ على ظاهرة التنبؤ بالمستقبل بشكل نهائي، فقد ذكرت كتب التاريخ روايات كثيرة تشير إلى تسلُّل التنجيم إلى قصور الخلفاء والولاة والقادة في العصرين الأموي والعباسي، وكان له أثر كبير في تدبير الشؤون السياسية والاجتماعية وغيرها. والشواهد على ذلك كثيرة منها ما نقله المؤرخون من أنَّ الخليفة الأموي (عبد الملك بن مروان)

كان يصحب معه المُنجِّمين في معاركه، ويستمع لتنبؤاتهم. أمَّا خلفاء بني العباس فكانوا يولون المُنجِّمين أهمية كبيرة، ومثال ذلك (أبو جعفر المنصور) فقد عمل على تقريب المُنجِّمين واستشارتهم في أموره، وكان يصحب معه المُنجِّم، وشغف بالعلوم الخاصة بهم ومنهم (نو بخت) الفارسي المنجم، وقيل إنّ المنصر عندم شرع في بناء بغداد اختار موقعها المنجمون ومنهم نوبخت المنجم (اليعقوبي، 2002م، ص25)

المبحث الثاني:

أولا: التنجيم:

إنَّ أفعال الاستشراف – ولا سيما التنجيم – قد أخذت مساحة من الانتشار في العصرين الأموي والعباسي، إلا أنَّها جُوبِهت بالرفض في مواقف عدد من الشعراء الذين وقفوا بالضد من أفعال المُنجِّمين، وقد تجلَّى ذلك في أشعارهم التي جاءت صدى لتوجُّهاتهم وأفكارهم، وشواهد ذلك كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال ما قاله الشافعي: (الخفيف)

أبلغا عنِّي المنجِّمَ أنِّي كافرٌ بالذي قضتهُ الكواكبْ
عالمٌ أنّ ما يكون وما كان بحتمٍ من المُهَيمنِ واجب
شاهدٌ أنَّ من تكهَّنَ أو نجَّ مَ زارٍ على المقاديرِ كاذبْ

(الشافعي، د.ت، ص54)

لقد شاع الاعتقاد بصحة أقوال المنجمين ومزاعمهم في تواريخ الأمم، ومنها الأمة العربية، فقد راجت في العصر العباسي خاصة مهنة التنجيم، حتى أنّ أولي الأمر ما كانوا يقدمون على إتيان أمرٍ جلل إلاّ بعد استشارة المنجمين، ونجد خبر هؤلاء المنجمين مع الخليفة العباسي المعتصم، فحين عزم على غزو عمورية استشار المنجمين، اكنّهم زعموا له أنّ هذه المدينة لا

تفتح في هذا الوقت وينبغي انتظار وقت الصيف، فأرادوا تأخير هذه الغزوة لكن المعتصم لم يعبأ لأقوالهم وتوجه إلى عمورية وفتحها، وانتهز الشاعر أبو تمام هذه الفرصة السانحة ليسخر من أقوال هؤلاء المنجمين الذين ادعوا معرفة الغيب فقال قصيدته البائية الرائعة التي استهلها بتكذيبهم والسخرية منهم، يقول أبو تمام شاعر العصر العباسي في قصيدته التي وصف فيها (معركة عمورية) إلى مذنّب كان المنجمون يتشاءمون منه فنصحوا الخليفة المعتصم بعدم خوض المعركة بعد ظهوره لكنّه تجاهل رأيهم واحتكم لسيفه فانتصر فيها: (البسيط)

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حدّه الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف ... في متونهن جلاء الشك والريب
والعلمُ في شُهَبِ الأرماحِ لامعةٌ ... بينَ الخميسينِ لا في السبعةِ الشُّهُبِ
وخوف الناس من دهياء مظلمة ... إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
وصيروا الأبراج العليا ... ما كان منقلبا أو غير منقلب
يقضونَ بالأمرِ عنها وهي غافلة ... ما كانَ في فلكٍ منها وفي قُطُبِ

(أبي تمام، 1978م، ج1، ص 17)

عقد الشاعر موازنة بين أدوات القتال وبين المنجمين، فقد تغنى بالسيف لكونه أداة النصر، ووسيلة النصر على الأعداء وليس السيف مثل الكتاب فهو أصدق ومنه وفيه يكون قطع الشك باليقين، وهنا نجده يسخر منهم وادعائهم بعلم الغيب، فقد ادعوا أنّ هذه المدينة لا تفتح إلا في موسم جني التين والعنب، وقد ادعوا معرفة الغيب وتكهنوا وظنّوا أنّ النجوم تزودهم بمعلومات غيبية، وقد سخر منهم الشاعر وأنّ النجوم في تقلبها بريئة من كلامهم،

وما قاله أبو الطيب المتنبي: (المتقارب)

فتبّـــاً لـــدينِ عبيـــدِ النُّجـــوم ومـــن يَدَّعـــي أنَّهـــا تعقـــلُ
وقـــد عَرَفَتـــك فمـــا بالُهـــا تَـــراك تَراهـــا ولا تنـــزلُ
أنَلـــتَ عِبـــادَكَ مـــا أمّلـــوا أنالَـــك ربُّـــكَ مـــا تَأمُـــلُ

(العبكري، 1938م، ج1، ص225)

فالمتنبي يسخر من هؤلاء الأدعياء على الدين وهم عبّاد النجوم؛ لأنّهم جعلوا حل همّهم معرفة طوالع النجوم، وأنّ هذا النجم لا يضرّ ولا ينفع، فالذين يعبدون النجوم على ضلال وخسارة لأنّهم يدعون أنّها عاقلة ولو كانت عاقلة لمَ لا تنزل اليهم وهي تراهم تنظرون إليها، وكان الأجدر بهؤلاء العباد أن يتجهوا إلى عبادة رب العباد، فهو المعطي والمأمول في كل نازلة.

وأشار أبو العلاء المعري في أبيات له إلى اقتران الكواكب وهي ظاهرة فلكية تقترب من خلالها الكواكب من بعضها وكان العرب يرون أنّ لكل اقتران معنى ونبوءة فينظرون لاقتران المشتري مثلا نظرة تفاؤل فتتغير بعده الأحوال: (الوافر)

قـــران المشـــتري زحـــلا يرجـــى لإيقـــاظ النـــواظر مـــن كراهـــا
وهيهـــات البريـــة فـــي ضـــلال وقـــد فطـــن اللبيـــب لمـــا اعتراهـــا
وكـــم رأت الفراقـــد والثريـــا قبائـــل ثـــم أضـــحت فـــي ثراهـــا
تقضـــي النـــاس جـــيلا بعـــد جيـــل وخلّقـــت النجـــوم كمـــا تراهـــا

(المعرّي، 2011م، ج1، ص1478)

فالشاعر هنا يستهجن من سلوك بعض الناس الذين يرون في اقتران المشتري بزحل بأنّه وقظ من الشعور ويدفع إلى التفاؤل ويروا بالاستدلال المنطقي بأنّ كل صاحب يعرف بعقله على أنّ هذه الظواهر لا تتحكم في التغيرات الحاصلة للبشر.

وقال أبو العلاء: (البسيط)

إنَّ الطبيــبَ وذا التنجـيم مـا فتئـا مشـــهرين بتقـــويمٍ وكنـــاشِ
يُعلـــلّانِ وفـــي التعليـــلِ مأربـــة ويسـتميلان قلـب المتـرف النـاشِ

(المعرّي، 2011م، ج1ص759)

فيستشرف حال المنجم والطبيب وأنّهم لم يصيبوا العلّة في المريض إلاّ إنّهم يستميلون قلوبهم.

ثانيا: قراءة الأحداث:

لا يمكـن لنـا أن نتجاهـل التنبـؤات التـي يمـر بهـا بعـض البشـر نتيجـة تجـارب يعيشـها ومـنهم الشـعراء، فارتباطهـا كبيـر بمـا نقـوم بـه مـن أفعـال، وممارسات، وتجارب الحياة، ومعاشرة الناس، فتظهر آثارها جلية في بعض التصرُّفات، فهي ((مستودع الآمال والآلام والرغبات المكبوتة))، الأمر الذي يجعلها تتجلَّى في بعض الحالات على شكل تنبُّؤات بما سيحصل لنا في المستقبل، ومن ذلك ما نسمعه بين اليقظة والمنام من أصوات قد تكون ذات دلالة معينة، أو ما نراه في المنام، فيقول الشاعر دعبل الخزاعي: (الكامل)

أولـــى الأُمُـــور بضـــيعةٍ وفســـادٍ أمـــرٌ يـــدبّرهُ أبـــو عَبّـــادِ
خَـــرقٌ علـــى جُلســـائهِ فكـــأنّهُم حَضَـــروا لملحَمَـــةٍ ويـــوم جِـــلّاد
يســـطو علـــى كتّابـــه بدّوّاتـــهِ فمُرمّـــلٌ ومضّـــمّخٌ بمـــدّادِ
وكأنّـــه مـــن ديـــر هرقـــل مُفلِـــتٌ حّـــردٌ يحُـــرُّ سلاســـل الأقيـــاد
فأشـــدد أميـــر المـــؤمنين وثاقُـــهُ فأصـــح منـــه بقيّـــةُ الحـــدّادِ

(الخزاعي، 1994، ص218)

في هذا النص يستشرف الشاعر وضع البلاد والعباد حيث يقول إن كان من يدبر الأمور أبا عباد لا شك أنّها تنتهي إلى الفساد ذلك أنّ هذا الرجل لا

يحسن التدبير حتى أنّه سيء المعاملة إلى من هم أقرب الناس إليه وهم جلسائه فيشعرون كأنّهم حضروا ساحة قتال، وهو كالوحش يوثب على فريسته وهي ملطخة بالدماء، كذلك جعله مجنونا حاملا سلاسل المجانين، ويطلب من أمير المؤمنين أن يقيده لأنّه سوف يهلك العباد إن بقي على هذا الحال وهنا الشاعر يستشرف وضع الأمور إن بقي هذا الشخص في الحكم.

وقال دعبل: (السريع)

يا معشر الأجناد لا تقنطوا وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطون حُنينيّةً يلتذّها الأمردُ والأشمطُ
والمعبديّاتُ لقوادكم لا تدخل الكيس ولا تُربطُ
وهكذا يرزقُ أصحابه خَليفةٌ مصحَفُهُ البَربَطُ
قَد خَتم الصك بأرزاقِكم وصحّح العزمَ فلم تغمطوا
بيعةُ إبراهيم مشؤومةٌ تُقتَل فيها الخَلقُ أو تُقحَطُ

(الخزاعي، 1994، ص219)

في هذا النص يستشرف الشاعر حال الناس والجنود وهم يطالبون برواتبهم من الخليفة (إبراهيم بن المهدي) قبل أن يتنازل بالخلافة للمأمون، وقد أصاب الدولة عجز مالي واجتمع الناس أمام القصر وهم يريدون رواتبهم وظهر مندوب الخليفة يخبرهم أنّنه لا يوجد رواتب، فقام الشاعر يخبرهم أنّه يستوفون رواتبهم بالأغاني من قبل الخليفة لأنّه يمتهن الغناء وهكذا بإمكانه أن يسددهم، وأنّ الشاعر يعرف مستقبل هذه البلاد إن بقي هذا الخلفة في الحكم ففي النهاية يقتل الخلق أو يصيبهم القحط.

وقال الشاعر: علي بن بسام: منتقدا الوزير:

سنصبر إذ وليتَ فكم صَبرنا لمثلك من أميرٍ أو وزيرِ
ولمّا لم نَنَل مِنهم سروراً رأينَا عزلُهُم كلّ السرورِ

نجد الشاعر في هذه الأبيات يعبر عن رأيه وأمثاله في رجال الدولة من أمراء ووزراء وأنّه يستشرف مستقبل هؤلاء الأمراء الذين لم تفرح الرعية في ولايتهم، فمستقبلهم العزل أو أنّ الناس تصبر على أذاهم حتى يأذن الله برحيلهم، فهم أصحاب تجربة لأمثالهم وأنهم قد ذهبوا.

وكذلك نذكر من ظلم الوزراء ما قاله الشاعر الهيثم بن فارس:

تفرعنت يا فَضلُ بن مروانَ فاعتبر

فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

ثلاثةُ أملاكٍ مضوا لسبيلهم

أبادهم الموت المشتت والقتلُ

فإنّك قد أصبحت في الناس ظلما

ستّودى كما أودى الثلاثةُ الخطبُ

وهنا يستشرف الشاعر مصير هذا الوزير؛ لأنّه ظالما كما هو حال من سبقه وهم الفضول الثلاثة الفضل بن يحيى والفضل بن الربيع والفضل بن سهل. فقد أبادهم الموت أو القتل وأنّه مصيره كمصير من سبقوه.

ابن الرومي:

من يتنقل بين أبيات ابن الرومي في ديوانه، يشم رائحة التشاؤم القوية، المنبثقة من بين ثنايا قصائده، تلك النبرة التي تنتزع الدموع من عيني قارئها، وتشيع الحزن بلا تصنع.

امتاز هذا الإنسان المسحوق بهذه الخاصية، وهزمه، بل وخلّد ذكره حظه النحس ونفوره من البشاعة، فكان وكأنّه يستشرف ما بصيبه من نكد وغم، فاختلف عن زملائه الشعراء على مر الدهور بالسخرية «العلقم» الشامتة، والناقدة لكل ما في الوجود.

كان لقراءة الأحداث عند الشاعر المغبون، يتنوع في أشكالٍ مختلفةٍ، بدايـة بأشـخاص معينـين مـن هيئـاتهم، مـروراً بأسـماء، وصـفات محـددة ومخصصة، وانتهاء بالتشاؤم من الدنيا بأسرها.

لقد كان يرى جاره الأحدب المقابل له من ثقب باب داره، ويعود أدراجه، مغلقاً الأبواب على أهله مقيماً في بيته؛ لأنّه يعرف عندما يرى جاره أنّ الأمور إلى التعقيد تسير وقد ذكره في بيتين:

قَصُـرَتْ أَخَادِعُـهُ وغـارِ قذالُـه فَكأنّـه مُتَـربِّصٌ أن يُصـفَعا
وكأنّمـا صُـفعت قَفـاه مَـرّةً وأحـسّ ثانيـة لهـا فتجمّعـا
(عليوي، د.ت، ج1، ص92)

يبدو أنّ الشاعر يستشرف المستقبل في لقائه مع جاره فيتطير منه أشد التطير. فها هو عندما يصفه يوضح سبب تشاؤمه، ليسمه بوصف دقيق جمع بين الصور الحسية والنفسية، التي يشعر بها القارئ عند تذوقه إياها.

أيضا كان شاعرنا يتشاءم بكاتب يُدعى «ابن طالب»، إذ يقول فيه:

أزيـرق شـؤوم أحمـر قاشـر لأصحابه نحس على القوم ثاقب
وهـل أشـبه المـريخ إلا وفعلـه لفعـل نـذير السـوء شـبه مقـارب
(ابن الرومي، 1988م، ج1 ص716)

يرى الشاعر في هذا الشخص نذير شؤم عن قومه، ويشبهه بكوكب المريخ الذي يعد خروجه نذيرا بحلول الكوارث الآفات والأمراض، فهو يراه وجهَ شؤم، أحمر الوجه دالاً على الشر والسوء، فكلّما يصادفه لابدّ من حدوث أمر سوء، ويشبهه بالمريخ؛ لأنّه نجم جعله أهل التنجيم والخرافات نذير حروب وفتن.

وقال ابن الرومي:

ولقد مُنعت من المرافق كلها حتى مُنعت مرافق الأحلام
من ذاك أني ما أراني طامعا في النوم أو متعرضاً لطعام
إلا رأيت من الشقاء كأنّني أُثني وأكبَحُ دونهُ بلجامِ

(ابن الرومي، 1988م، ج 1، ص 4107)

يستغرب حظه السيئ، فالكل يرتقي ويصعد المناصب بينما هو جالس لا يحرك ساكناً، وعندها يستهجن استغراب الناس من تطيّره ووسوسته، وتلك النغمة،

إذن.. يستشرف أنّ حظّه سيئ في جميع أحواله، يقظته ومنامه، حتى دعاه ذلك إلى النقمة على المترفين، وعلى الحياة بشكل عام، فالغنى، والثراء يراه ويلتفت عنه متجاهلا إياه إلى آخرين فيقول:

أيلتمس الناسُ الغنى فيصيبهم وألتمسُ القوت الطفيف فيلتوي

(ابن الرومي، 1988م، ج1، ص 4954)

وبذلك فحزنه ولوعته ليست ككل الناس، وغالبا ما يرد ذلك في مراثيه التي تقطر حزنا مثيراً لشجن أقسى القلوب:

وتسليني الأيام لا أن لوعتي ولا حزني كالشيء ينسى فيعزب
ولكن كفاني مسلياً ومغربا بأن المدى بيني وبينك يقرب

(ديوان ابن لرومي ج 1 ص 368)

وها هو في موضع آخر يذم الدنيا ومصائبها التي أشابته قبل أوان المشيب، فيتمنى الموت؛ ذلك أنّه يعتقد أنّ ما بعد تعب هذه الحياة لابد من راحة وأنّ العزاء لا فائدة فيه أبدا، ومن مات فالموت خيرا له من الحياة:

لا يبعد الله أسلافا لنا سبقوا ولو بقوا للقوا ما لا يحبونا
كيف العزاء وما في العيش مغتبط ولا اغتباط لأقوام يموتونا

متى نعش فبلى الأحياء يدركنا وإن نمت فبلى الأموات يقفونا
(ابن الرومي، 1988م، ج1، ص4718)

وأخيراً.. وبعد هذه الأوهام التي سيطرت على تفكير ابن الرومي، بلغ به الحال أن يعتقد بأنّ ثمّة روحًا شريرة تسكنه وتلاحقه أينما سار، وهي التي تصدّ عنه الناس، وتجعل النحس رفيقاً ملازماً له، فأيّن يتجه فإنّه الطرق مسدودة بوجهه فهو يعرف مصيره القادم حتى خاطبه قائلاً:

بل تعاميت غير أعمى عن الحق نهارا في ضحوةٍ غراءُ
ظالما لي مع الزمان الذي ابتزّ حقوق الكرام اللؤماءُ
(ابن الرومي، 1988م، ج 1 ص138)

المعرّي:

بعد وفاة أبيه تكهن أنّ في الأيام القادمة سيصاب بمصيبة وأنّه لا يستقر له حال في هذه الحياة أبدا.

لقد مسحت قلبي وفاتك طائرا فأقسم ألا يستقرّ على وكن
(المعرّي، 2011م، 311)

يرى المعري أنّ الدنيا لا تأتي بخير فيستشرف حال هذه الحياة فيقول:

من أدعى الخير من قوم فَهُم كذبُ لا خير في هذه الدنيا ولا خِيَرُ
وسِيرة الدهر ما تنفكّ مُعجبةً كالبحر يغرق في ضحضاح ها
(المعرّي، 2011م، ص378)

البيتان يقسمان بالنظرة التشاؤمية والتطير من الدنيا؛ بسبب نظرته الفلسفية نحو الحياة والوجود، وهو بذلك يتنبأ عن حاله في هذه الحياة، معتمدا بذلك على بعض الملامح البلاغية لرسم صورته في استشراق المستقبل.

ويرى أنّ العلم لا يبعد العالم من الموت وأنّ الإنسان مهما بلغ من العلم لابد انّ يموت:

كم سلم الجهول من المنايا وعُوجل بالحِمام الفيلسوفُ

(م ن62)

ويرى أنّ الإنسان لم يكن مخيرا في أغلب أمور حياته وأنّ كل أحوله ليس له عليها أيُّ اختيار فيقول:

ما باختياري ميلادي ولا هرمي ولا حياتي فهل لي بعدُ تخييرُ

(المعرّي، 2011م، ج1، ص447)

وبعد هذا الحزن، والإحساس بالشؤم مدى الحياة لنتوقف متسائلين: ما الذي جعل شعراء عمالقة يعيشون هذه الأوهام، وينطوون على أنفسهم، مغردون بأصواتهم الثقيلة من وطأة الهموم، والشكوى؟

ثالثاً: أشياء غيبية:

قال الشافعي: (الطويل)

توكلت في رزقي على الله خالقي وأيقنت أن الله لا شك رازقي

وما يك من رزقٍ فليس يفوتني ولو كان في البحار العوامق

سيأتي به الله لعظيم بفضله ولو لم يك مني اللسان بناطق

ففي أيّ شيءٍ تذهب حسرةٌ وقد قسّم الرحمن رزق

(الشافعي، د.ت، ص126)

هنا نلحظ استشراف الشاعر في قابل الأيام وهذا من قوة إيمانه بالله وحده وأنّ الرزق بيده هو الذي يدبر أمر الكون فهي قوة عظيمه هي التي تدير هذا الكون وهذا الاستشراف الذي قدمه لشاعر يتناغم مع الأفكار الإيمانية والتي مصدرها حسن الظن بالله عز وجل حيث أنّ هذه القوة

الجبارة وراءها ملك عظيم وقد قسّم الرزق بين الخلائق وأنّ سوف يأتيهم رزقهم حتى ولو كان في قاع البحار وذلك بفضل الله سبحانه وتعالى.

وقال الشافعي: (الطويل)

ولمّا قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا منيّ لعفوك سُلّما
تعاظمني ذنبي فلمّا قرنتهُ بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منّة وتكرّما

(الشافعي، د.ت، ص54، ص110).

في هذه الأبيات يستشرق الشاعر عن مصيره بعد هذه الحياة فلا ملجأ غير الله سبحانه وتعالى، فيرفع يديه إلى الله وهو يحسن به الظن وهو العبد المذنب الضعيف المنكسر أمام هذا الجبروت وهذه العظمة التي لا يمكن تخيلها وأنّ بيده العفو والمغفرة وأنّ هذه المغفرة هي التي تدخل هذا العبد الضعيف الجنة وتنقذه من النار، فنجد أنّ الشاعر قد أصبح في موقف غير محسود عليه فهو يتذكر ذنوبه ومعاصيه ولكنّه بالمقابل هناك رب غفور قادر على كل شيء وأنّ هذه الذنوب تكاد لا تذكر أمام هذه العظمة الإلهية والتي تشمل الإنسان اذا أتى إلى ربه خاشعاً تائباً.

وقال أبو نواس: (الكامل)

يا رب إن عظُمت ذنوبي كثرةً فلقد علمتُ بأنّ عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ فبمن يلوذ ويستجير المجرمُ
أدعوك ربي كما أمرت تَضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عطفك ثم أنّي مُسلمُ

(أبو نؤاس، 1975م)

هنا الشاعر يناجي ربه وأنّه يعلم بأنّه لديه مغفرة كبيرة تمحو ما اقترفه من سيئات وهذا يأتي من قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ 53 الزُّمَر.

فهو يرجو ربه ويدعوه متضرعا وأنّه لديه إحساس بأنّ ربه سوف يغفر له وأنّه ربٌ غفور يعطف على عباده وإن كانوا مذنبين ومسرفين بالمعاصي فإنّه سيغفر لهم وذلك لأنّهم مسلمين وهذا ما يستشرفه الشاعر عند لقاء ربه بعد الموت.

وهناك مواقف كثيرة لشعراء آخرين تسير بهذا الاتجاه المعارض للتنجيم، وأخرى تتحدث عن تجاربهم في الحياة وقراءتهم للأحداث وأمور تتعلق بحسن ظنهم بالله عز وجل لكن لا مجال لذكرها، كذلك إنّ رفض موضوع التنجيم الأمر لا يقتصر على الشعراء فحسب، وإنَّما كان لعدد من علماء الدين والمفكرين والفلاسفة وغيرهم آراء رافضة، لا يسمح المقام لذكرها.

المصادر العربية

القرآن الكريم

- المتنبي، أبي البقاء العبكري. (1938). **ديوان المتنبي**. مصر.

- ابن الرومي، علي بن العباس بن جريج. (1988). **ديوان ابن الرومي**. القاهرة.

- الشافعي، محمد بن إدريس. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. (د.ت). ديوان الشافعي.

- أبي تمام، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي. (1978). ديوان أبي تمام. القاهرة: دار المعارف.

- المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان. (2001). دار المعرفة. بيروت.

- دعبل بن علي الخزاعي. (1994). ديوان دعبل الخزاعي. بيروت.

- أبي نؤاس، الحسن بن هانئ الحكمي. (1975). ديوان أبي نؤاس. بيروت.

- شيشرون. (1946). قصة الحضارة.

- عجيل، محمد كاظم. (2022). ظاهرة التنبؤ بالغيب وتجلياتها في الشعر الأندلسي. مديرية تربية ذي قار.

- أحمد بن حنبل. تحقيق: أحمد محمد شاكر. (1995). دار الحديث. القاهرة: ط الأولى 1416هـ.

- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح. (1422). البلدان. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

المصادر باللغة الإنجليزية

-Al-Mutanabbi, Abi Al-Baqa Al-Abkari. (1938). Diwan Al-Mutanabbi. Egypt.

-Ibn Al-Rumi, Ali bin Al-Abbas bin Jurayj. (1988). Diwan Ibn Al-Rumi. Cairo.

- Al-Shafi'i, Muhammad bin Idris. Edited by: Muhammad Abdul Monem Khafaji. (n.d.). Diwan Al-Shafi'i.

- Abu Tammam, Habib bin Aws bin Al-Harith Al-Ta'i. (1978). Diwan Abu Tammam. Cairo: Dar Al-Ma'arif.

- Al-Ma'arri, Ahmad bin Abdullah bin Suleiman. (2001). Dar Al-Ma'arifa. Beirut.

- Dibil bin Ali Al-Khuza'i. (1994). Diwan Dibil Al-Khuza'i. Beirut.

- Abu Nuwas, Al-Hassan bin Hani Al-Hakami. (1975). Diwan Abu Nuwas. Beirut.

- Cicero. (1946). The Story of Civilization.

- Ajil, Mohammed Kazem. (2022). The Phenomenon of Fortune-telling and its Manifestations in Andalusian Poetry. Directorate of Dhi Qar Education.

- Ahmed bin Hanbal. Edited by: Ahmed Muhammad Shakir. (1995). Dar Al-Hadith. Cairo: 1st edition 1416 AH.

- Al-Ya'qubi, Ahmed bin Ishaq bin Ja'far bin Wahb bin Waddah. (1422). Al-Buldan. 1st edition. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.